الباب الثالث

لمحة عن سورة الروم

أ. تعريف القرآن

((قرأ)): تأتى بمعنى الجمع والضم, والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض في الترتيل, والقرأن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنا. قال تعالى: ((ان علينا جمعه وقرآنه. فاءذا قرأناه فالتبع قرآنه)) القيامة : ١٧-١٨. أي قراءته, فهو مصدر على وزن (فعلان) بالضم: كالغفران والشكران, تقول: قرأته قرءا وقراءة وقرأنا, بمعنى واحد, سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم الشخص.[١]

القرأن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التى لايزيدها التقديم العلمى الارسوخا في الإعجاز, أنزل الله على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور, ويهديهم الى صراط المستقيم, فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغ لصاحبته – وهم عرب خلص – فيفهمونه بسليقتهم.[٢]

---

[١] مناع القطان, مباحث في علوم القرأن, (القاهرة-تليفون: مكتبة وهبة, ١٩٩٥م), ص: ١٤-١٥

[٢] مناع القطان, مباحث في علوم القرأن, (القاهرة-تليفون: مكتبة وهبة, ١٩٩٥م), ص:٥

ب. لمحة عن سورة الروم

في هذا البحث أريد الباحث أن تواضح مفهوم في سورة الروم من حيث تسميتها وما اشتملت عليه السورة ومناسبة السورة لما قبلها.

١. تسميتها

سورة الروم هي سورة مكية الا قوله تعالى: ((وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون)) فمدنية, وعد آيها ستون آية, نزلت بعد سورة الانشقاق.[٣] سورة الروم هي سورة الثلاثون في ترتيب المصحاف أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثانية والثمانون.[٤]

سميت سورة الروم لافتتاحها بخبر غلبة الروم, والإخبار عن نصرهم بعد ئذ في بضع سنين, وتلك احدى معجزات القرآن العظيم باءخبار عن المغيبات في المستقبل ووقوع الشئ كما أخبر به, وموضوعها هو سائر السور المكية التي تبحث في أصول العقيدة الإسلامية وهي التوحيد وصفات الله تعالى, والإيمان بالرسالة النبوية, وبالبعث والجزء في الآخرة.[٥]

---

[٣] أحمد مصطفى المراغى, تفسير المراغى, (مصر: شركة مكتبة ومطبعة, ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م), ص:٢٦

[٤] محمد سيد طنطاوي, التفسير الوسيط للقرآن الكريم, (الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, ١٩٩٨), ص: ٦٢

[٥] وهبة بن مصطفى الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, (المعاصر – دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٣), ص: ٤٢

٢. ما اشتملت عليه سورة

افتتحت السورة باثبات النبوة بالإخبار بالغيب, وهو انتصار الروم على الفرس في حرب تقع بينهما في غضون بضع سنوات (من٣-٩ سنوات) ووقع الخبر كما أخبر القرآن, وتلك معجزاة القرآن تثبت صدق النبي صلى الله عليه وسلم, وتتضمن البشارةبنصر جند الرحمن على حزب الشيطان.

ثم ذكرت آدلة الواحدانية وعظمة القدرة الإلهية بالتأمل في صفحة الكون والنظر في خلق السموات والأرض, والإعتبار بمأساة المكذبين الغابرين وعاقبتهم السيئة, وأردف بعدها أدلة البعث, والأمر بعبادة الله وحده, وذلك مقتضى الفطرة التى فطر الناس عليها.

ونوقش فيها المشركون وضربت لهم الأمثال في أن الشركاء ضعفاء عاجزون لايملكون لأنفسهم يوم القيمة نفعا, ولا يتمكنون دفع الضر عن أحد, ولا يستطيعون خلق شيء وايجاده ولا امداد أحد بالرزق. وكشف القرآن حقيقة حال المشركين كما ذكر في سورة المتقدمة وهي لجوءهم الى الله وقت الضر, واشراكهم به وقت الرخاء, وأميط اللثام عن طبيعة الإنسان وهي الفرح بالنعمة, والقنوط حين الشدة الا من آمن وعمل صالحا.ونهى الله تعالى عن اتباع المشركين وغيرهم الذي فرقوا دينهم وكانو

شيعا, ثم أمر تعالى بالتصدق على ذوي القربى والمساكين وابن السبيل, واجتناب أكل الربا, وتنمية المال بوجوه الحلال وتطهيره بالزكات.

ثم قارنت السورة بين مصير المؤمنين في روضات الجنان فضلا من الله تعالى, ومصير الكافرين في نيران الجحيم جزاء أعمالهم وكفرهم, زحينئذ تظهر فائدة الاءيمان والخير, وظلام الكفر والشر. وأعقب ذلك ايراد بعض الأدلة الكونية الناطقة بقدرة الله والدالة على وحدانيته من ارسال الرياح مبشرات بالرحمة, وتسيير الفسن في البحار, وتمكين المسافرين من التجارة وابتغاء فضل الله في أقطار الأرض, والدلائل الملحوظة في الأنفس من خلق ثم رزق, ثم اماتة, ثم احياء.

وختمت السورة بتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن اعراض قومه عن الاءيمان برسالته بأنهم أغلقوا منافذ الهداية, وعطلوا طاقت الفكر والعقل عن النظر في وسائل المذحوف, لأنه أقوى الحركات, ولئلا تلتبس حركة الاءعراب بحركة البناء, فلو بني على الفتح أو كسر, لالتبست حركة الاءعراب بحركة البناء. الوصول الى الإيمان بالله, فهم صم عمي لايسمعون ولايبصرون, وأنهم مهما رأى من الأيات, وشاهدوا من البراهين والمعجزات, لن يؤمنوا بسبب العناد, والتشبث بمواقع الكفر, والحفاظ على مراكز الزعامة والنفوذ بين العرب. وهذا يقتضي البصر على أذى المشركين حتى يأتي النصر, وسيكون النصر في جانب الرسول صلى الله عليه وسلم,

والخذلان لمن كذب به, ولن يؤثر في مسيرة دعوته كفر الذي لايوقنون بالبعث بعد الممات.[٦]

٣. مناسبتها لما قبلها

تتشابه سورة الروم وسورة العنكبوت التى قبلها في المطلع, فاءن كلا منهما افتتح ب الم غير مقرون بذكر التنزيل والكتاب والقرآن, على خلاف القاعدة الخاصة في المفتتح بالحروف المقطعة, فاءنها كلها قرنت بذلك الا هاتين السورتين وسورة القلم. وقد ذكر في أول السورة ما هو معجزة وهو الاءخبار عن الغيب, فقدمت هذه الحروف الهجائية لتنبيه السامع والاءقبال بقلبه وعقله وروحه على الاءستماع. وهناك تشابه آخر بين السورتين من وجوه ثلاثة:

١) ان السورة السابقة بدئت بالجهاد وختمت به: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وبدئت هذه السورة بوعد المؤمنين بالغلبة وهم يجاهدون في سبيل الله تعالى.
٢) ان الاستدلال في هذه السورة على أصول الإعتقاد وأهمها التوحيد جاء مفصلا للمجمل في سورة السابقة مثل قوله تعالى: ((أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده, فانظروا كيف بدأ الخلق)).

---

[٦] وهبة بن مصطفى الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, (المعاصر – دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٣), ص: ٤٤-٤٦

٣) ترتب على التفرقة بين المشركين وأهل الكتاب في سورة المتقدمة أن أبغض المشركون أهل الكتاب, وتركوا مراجعتهم في الأمور, وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور, وسبب البغضاء أن المشركين في جدالهم نسبوا الى عدم العقل: ((بل أكثرهم لا يعقلون)), وطلب مجادلة أهل الكتاب بالحسنى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن, وكان أهل الكتاب يوافقون النبي في الاءله, كما قال تعالى: ((والهنا والهكم واحد)).

فلما غلب أهل الكتاب حين قاتلهم الفرس المجوس, فرح المشركون بذلك, فأنزل الله تعالى أوائل سورة الروم لبيان أن البلغة لا تدل على الحق, وانما قد يريد الله تعالى مزيد ثواب في المحب, فيبتليه ويسلط عليه الأعادي, وقد يختار للمعادي تعجيل العذاب الأدنى, دون العذاب الأكبر يوم القيامة.[٧]

ج. أسباب النزول في سورة الروم

أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر, ظهرت الروم على فارس, فأعجب ذلك المؤمنين, فنزلت الم, غلبت الروم.

---

[٧] وهبة بن مصطفى الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, (المعاصر – دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٣), ص: ٤٢-٤٣

وأخرج ابن أبي عن ابن شهاب الزهري قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمون, وهم بمكة, قبل أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل الكتاب, وقد غلبتهم المجوس, وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم, فكيف غلب المجوس الروم, وهم أهل الكتاب؟! فسنغلبكم كما غلب فارس الروم, فأنزل الله: الم, غلبت الروم.

وأخرج الترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي: أن فارس غزوا الروم, فوافوهم بأذرعات وبصر من أرض الشام, فغلبوا عليهم, وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو بمكة, فشق ذلك عليهم, من قبل أن الفارس مجوس, والروم أهل الكتاب, وفرح المشركون بمكة وشمتوا, ولقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون, وقالوا: انكم أهل الكتاب, والنصارى أهل كتاب, وقد ظهر اخواننا من أعل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب, وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم, فأنزل الله هؤلاء الأيات.

فخرج أبي بكر رضي الله عنه الى المشركين, فقال: أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا؟ فلا تفرحوا, ولا يقرن الله أعينكم, فو الله لتظهرن الروم على فارس, كما أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم, فقام اليه أبي بن خلف فقال: كذبت, فقال: أنت أكذب يا عدو الله, اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه على عشر قلائص مني, وعشر قلائص منك, فاءن ظهرت

الروم على فارس غرمت, وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين فناحبه, ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((زايده في الخطر وماده في الأجل)), فخرج أبو بكر, فلقي أبيا, فقال: لعلك ندنت, فقال: لا, تعال أزيدك في الخطر, وأمادك في الأجل, فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين, قال: قد فعلت, فلما أراد أبو بكر الهجرة, ظلب منه أبي كفيلا بالخطر ان غلب, فكفل به ابنه عبد الرحمن, فلما أراد أبي الخروج الى أحد, طلبه عبد الرحمن بالكفيل,

فأعطاه كفيلا, ومات أبي من جرح جرحه اياه النبي صلى الله عليه وسلم في المواقعة, وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة, فأخد أبو بكر الخطر من ورثة أبي. وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم: ((تصدق)).

وقد كان هذا قبل تحريم القمار, لأن السورة مكية, وتحريم الخمر والميسر بالمدينة, واستدل به الحنفية على جواز العقود الفسادة في دار الحرب. والأية من دلائل النبوة, لأنها اخبار عن الغيب.[٨]

---

[٨] وهبة بن مصطفى الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, (المعاصر – دمشق: دار الفكر, ٢٠٠٣), ص: ٤٨